

## الفصل الثالث

### عبادة المرأة المسلمة

#### البحث الأول:

إخلاص الطاعة لله تعالى من أولى فرائض الإسلام

#### أختي المؤمنة:

اعلمي أن الله تبارك وتعالى أول ما أمر به العباد إخلاص الطاعة والعمل الصالح له وحده لا شريك له في ذلك أبداً.

قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيَتُؤُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ⑤﴾<sup>(١)</sup> ، وقال تعالى: ﴿إِنْ تَخَفُوا مَا فِي سُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُتَلَّهُ اللَّهُ ⑥﴾<sup>(٢)</sup>.

أخرج الشيخان أن رسول الله ﷺ قال: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج أيضاً عن رسول الله ﷺ: «يَغْرُزُ جَيْشَ الْكَعْبَةِ فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءٍ مِنَ الْأَرْضِ يُخَسَفُ بِأَوْلِهِمْ وَأَخْرَجَهُمْ» قلت: يا رسول الله كيف يُخَسَفُ بِأَوْلِهِمْ

(١) سورة البينة، الآية: ٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٩.

(٣) صحيح البخاري ١ / ١ «الفتح»، وصحيح مسلم ٣ / ١٥١٥.

وَأَخْرَجَهُمْ، وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «يُخَسَفُ بِأَوْلِيهِمْ وَأَخْرَجَهُمْ، ثُمَّ يَتَّبِعُونَ عَلَى نِيَاتِهِمْ»<sup>(١)</sup>.

وأخرجنا أيضاً عن رسول الله ﷺ: «ولكن جهاداً ونية»<sup>(٢)</sup>.

وأخرجنا أيضاً من قوله ﷺ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذَلِكَ يَكُونُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ لَنَكُونُ كَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» وفي نسخة: «فذلك في سبيل الله»<sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ: «إذا أنزل الله بقوم عذاباً أصاب العذاب مَنْ كان فيهم، ثم يَتَّبِعُونَ عَلَى نِيَاتِهِمْ»<sup>(٤)</sup> وهذا من عظيم عدل الله ﷻ.



## البحث الثاني:

### لزوم اقتصاد المرأة في العبادة

عن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته؛ فلما أُخْبِرُوا كَانَتْهُمْ تَقَالُوبُهَا، قَالُوا: أَيْنَ نَحْنُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ عُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَا أَنَا فَاصْلِي اللَّيْلِ أَبَدًا. وَقَالَ الْآخَرُ: وَأَنَا اعْتَزَلْتُ النِّسَاءَ وَلَا أَنْزُوجُ أَبَدًا. وَقَالَ الْآخَرُ: وَأَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ. فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قَلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَخْشَاكُمُ لِلَّهِ، وَأَنْتَاكُمُ لِهَذَا أَصُومُ وَأَفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأُزْقِدُ، وَأَنْزُوجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنِ سِتِّي فَلَيْسَ مِنِّي»<sup>(٥)</sup>.

(١) صحيح البخاري ٤، ح ٢١١٨ «الفتح»، وابن ماجه ٢، ح ٤٠٦٥.

(٢) صحيح البخاري ٦، ح ٢٧٨٣ «الفتح»، وصحيح مسلم ٣ / ١٤٨٧.

(٣) صحيح البخاري ٦، ح ٢٨١٠ «الفتح»، وصحيح مسلم ٣ / ١٥١٢-١٥١٣.

(٤) صحيح البخاري ١٣، ح ٧١٠٨ «الفتح»، ومسلم ٤ / ٢٢٠٦.

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج ٢ / ١٥٨، و ج ٣ / ٢٤١، ورواه البخاري في كتاب: =

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: بعث رسول الله ﷺ إلى عثمان بن مظعون يقول: «أرغبة عن سنتي؟» فقال: لا والله يا رسول الله! ولكن سنتك أطلب. فقال النبي ﷺ: «فإني أنا وأصلي، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء، فأتق الله يا عثمان، فإن لأهلك عليك حقاً، وإن لضيفك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً، فضم وأفطر، وصل وتم»<sup>(١)</sup>.

وزاد رزين: وكان حلف أن يقوم الليل كله ويصوم النهار ولا ينكح النساء، فسأل عن يمينه، فنزل قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفَمِ فِي أَيْتِنَاكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> ويروى: أنه نوى ذلك ولم يعزم، وهو أصح.

وعن أنس رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد فإذا جبل ممدود بين السارين فقال: «ما هذا؟» قالوا: جبل لزيب فإذا فترت تعلقت به. فقال: «لا، حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقمه»<sup>(٣)</sup>.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وعندي امرأة من بني أسد. فقال: «من هذه؟» قلت: فلانة لا تنام الليل. فقال: «منه، عليكم من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملؤا»<sup>(٤)</sup>، وكان أحب الدين إليه ما دأوم عليه صاحبه.

وعن أبي جحيفة قال: أخى رسول الله ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، أي: تاركة للزينة وغير متهيئة

= النكاح، ج ١، ورواه مسلم في كتاب: النكاح، ج ٥، ورواه النسائي في كتاب: النكاح، ج ٤، ورواه الدارمي في كتاب: النكاح، ج ٣.

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج ٦ / ٢٦٨، وإسناده صحيح.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٥.

(٣) رواه البخاري في كتاب: التهجد، ١٨، ورواه ابن ماجه في كتاب: الإقامة، ١٨٤.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج ٦ / ٤٠-٥١-٦١، ورواه البخاري في كتاب: الإيمان، ٣٢، والتهجد، ١٨، والصوم، ٥٢، واللباس، ٤٣، ورواه مسلم في كتاب: المسافرين، ٢١٥ /

٢٢١، والصيام، ١٧٧.

للزوج. فقال: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. . الحديث<sup>(١)</sup>. وفي آخره: فقال سلمان: إن لربك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «صَدَقَ سلمان» ورواه الترمذي وزاد: «وَلِصَبِيكَ عَلَيْكَ حَقٌّ»<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أخبر النبي ﷺ عن مولاة له تقوم الليل، وتصوم النهار، فقال: «لكل عمل شرة، ولكل شرة فترة، فمن صارت فترته إلى سُنِّي فقد اهتدى، ومن أخطأ فقد ضل» والشرة: الغفوة، وشرة الشباب: حرصه ونشاطه<sup>(٣)</sup>.



### البحث الثالث:

#### ثواب الصالحات عند الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَائِمِينَ وَالْقَائِمَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَائِظِينَ وَالْحَائِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري.

(٢) رواه البخاري في كتاب: الصوم ٥١، ومناقب الأنصار ٥٠، والأدب ٦٧-٦٨، ورواه الترمذي في كتاب: الزهد ٦٤.

(٣) رواه الإمام أحمد، ج ٢ / ١٥٨-١٦٥ - ١٨٨ - ٢١٠، وج ٥ / ٤٠٩، ورواه الترمذي في كتاب: القيامة ٢١، بلفظ: «لكل شيء شر»، وهو حديث صحيح، ورواه ابن حبان في صحيحه بلفظ: «إن لكل عمل شرة وإن لكل شرة فترة فمن كانت فترته إلى سُنِّي فقد أفلح ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك». قال الهيثمي: هذا هو الصواب، موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان ١٧٠.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَلِمِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ والفرق بين الإسلام والإيمان هو ما ورد في حديث جبريل عليه السلام المشهور<sup>(١)</sup>.

وهو نص في محل النزاع، ﴿وَالْقَنِينِ وَالْقَنِينَاتِ﴾ القنوت: الطاعة والعبادة ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ هما من يتكلم بالصدق ويتجنب الكذب، وفي بما عوهد عليه ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾ هما من يصبر عن الشهوات وعلى مشاق التكليف ﴿وَالْحَاشِينَ وَالْحَاشِمَاتِ﴾ أي: المتواضعين لله الخائفين منه، والخاضعين في عبادتهم لله ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ هما من تصدق من ماله بما أوجبه الله عليه، وقيل: ذلك أعم من صدقة الفرض والتفعل.

﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾ قيل: ذلك مختص بالفرض، وقيل: هو أعم ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ فروجهن عن الحرام، بالتحقق والتنزه والاقتران على الحلال ﴿وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّكِرَاتِ﴾ هما من يذكر الله في جميع أحواله، وفي ذكر الكثرة دليل على مشروعية الاستكثار من ذكر الله بالقلب واللسان.

وفي جميع الأذكار الماثورة كتب جماعة من أهل العلم بالحديث، من أتى بما فيها من الأذكار والدعوات، فهو داخل تحت هذه الآية بلا شك ولا ريب، ومن أحسنها كتاب «الحضن الحصى» وعدته وجنته وسلاح المؤمن وفرنده و«عمل اليوم والليلة» لابن السني، و«نزل الأبرار» وهو أحسن من كل ما جمع في هذا الباب، وقد صنف الإمام النووي رحمته الله كتابه «الأذكار» فكان من أوسعها.

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً﴾ لذنوبهم التي أذنبوا بها ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ على طاعاتهم التي فعلوها من الإسلام والإيمان والقنوت والصدق والصبر والخشوع والتصدق والصوم والعفاف والذكر. ووصف الأجر بالعظيم للدلالة على أنه بالغ الغاية، ولا شيء أعظم من أجر هو الجنة ونعيمها الدائم الذي لا ينقطع ولا ينفذ، اللهم اغفر ذنوبنا وعظم أجورنا.

(١) رواء البخاري في كتاب: الإيمان ٣٧، ورواه مسلم في كتاب الإيمان ١٠.

وقال رسول الله ﷺ: «أحبُّ الكلام إلى الله تعالى أربعٌ: سبحان الله، والحمدُ لله، ولا إلهَ إلا الله، والله أكبرُ، ولا يضركُ بأيتهنَّ بدأت»<sup>(١)</sup>.

وقد أخرج أحمد والنسائي وابن جرير وابن المنذر والطبراني وابن مردويه، عن أم سلمة قالت: قلتُ: يا رسولَ الله، فما لنا لا نُذكِرُ في القرآنِ كما تُذكِرُ الرِّجَالُ؟ فلمْ يرعني منه ذات يوم إلا نداؤه على المنبر وهو يقول: «إن الله يقول: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ الآية». وأخرج ابن حميد والترمذي وحسنه والطبراني عن أمِّ عُمارة الأنصارية أنها أتت النَّبِيَّ ﷺ فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرن بشيء؟ فنزلت هذه الآية. وعن ابن عباس قال: قالت النساء: يا رسولَ الله ما باله يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات؟ فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>. وبالله التوفيق وهو المتعان.



### البحث الرابع:

#### التقوى واجبة على النساء كوجوبها على الرجال

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكَ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكَ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ﴾ هما آدمٌ وحواءُ، المقصودُ أنهم متساوون لاتصالهم بنسبٍ واحدٍ، وكونهم يجمعهم أبٌ واحدٌ وأمٌ واحدةٌ، وأنه لا موضع للتفاخر بينهم بالأنساب، فالكلُّ سواءٌ. وعن الزَّهْرِي قال: أمرَ رسولُ الله ﷺ بني بياضة أن يزوجوا أبا هند امرأة منهم فقالوا: يا رسولَ الله،

(١) صحيح مسلم المختصر، برقم ١٤١١.

(٢) أخرجه الطبراني وابن جرير وابن مردويه بإسناد، قال السيوطي: حسن.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

أَنْزُوجُ بِنَاتِنَا مَوَالِينَا؟ فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. ﴿وَجَمَلْتُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ أي: ليعرف بعضكم بعضاً، ويتسب كل واحد منكم إلى نسبه ولا يعتزري إلى غيره، ويصل رحمته، لا للتفاخر بأنسابهم، وأن هذا الشعب أفضل من هذا الشعب، وهذه القبيلة أكرم من هذه القبيلة، وهذا البطن أشرف من هذا البطن، وإنما الفخر بالتقوى، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ مَنْ لَمْ يَتَلْبَسْ بِهَا وَأَشْرَفُ وَأَفْضَلُ، فَدَعُوا مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ التَّفَاخُرِ فِي الْأَنْسَابِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يُوجِبُ كَرَمًا وَلَا يَثْبُتُ شَرَفًا وَلَا يَقْتَضِي فَضْلًا.



## البحث الخامس:

### فضل خوف المرأة المسلمة من الله تعالى

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «كان فيمن كان قبلكم رجل يُسَمَّى الكِفْل، وكان لا ينزع عن شيء، فأتى امرأة، علم أن بها حاجة، فأعطاهما ستين ديناراً، فلما أرادها على نفسها ارتعدت وبكت، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: إن هذا عمل ما عملته قط، وما حملني عليه إلا الحاجة، فقال: أتفعلين أنت هذا من مخافة الله تعالى؟ فأنا آخرى بذلك، فأذقي ذلك ما أعطيتك، والله لا أعصيه بعدها أبداً، فمات من ليلته، فأصبح مكتوباً على بابه: إن الله تعالى قد غفر للكفل، فعجب الناس من ذلك، حتى أوحى الله إلى نبي زمانهم بشأنه»<sup>(٢)</sup>.

الخوف من الله في أمر النساء: إظلال العرش لمن خاف الله في النساء، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يُظَلِّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ..» الحديث،

(١) أخرجه أبو داود في مراسيله، وابن مردويه والبيهقي في سننه.

(٢) رواه الترمذي في كتاب: القيامة ٤٨، وحيثه.

وفيه: «ورجلٌ دعتهُ امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ فقال: إني أخافُ الله»<sup>(١)</sup>.  
 وفي معنى هذا الحديث قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾<sup>(٢)</sup>.



### البحث السادس:

#### التسبيح والذكر للمرأة المسلمة

عن سيرة عليها مولاة لأبي بكر الصديق رضي - وكانت من المهاجرات الأول - قالت: قال لنا رسول الله ﷺ: «عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس والتكبير، واغفذن بالأنامل فإنهن مسؤولات مستنطقات ولا تغفلن فتنسين الرحمة»<sup>(٣)</sup>.

وعن جويرية زوج النبي ﷺ: أن رسول الله خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع إليها بعد أن أضحى، وهي جالسة، فقال: «ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟» قالت: نعم. قال: «لقد قلتُ بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته»<sup>(٤)</sup>.

ومعنى زنة عرشه: عظم قدره. ومداد كلماته: أي: مثلها وعددها. وقيل: المداد مصدر كالمذ.

- (١) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج ٢ / ٤٣٩، ورواه البخاري في كتاب: الأذان، ٣٦، وكتاب: الزكاة، ١٦، وكتاب: الرقاق، ٢٤، وكتاب: الحدود، ١٩، ورواه مسلم في كتاب: الزكاة، ٩١.
- (٢) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠ - ٤١.
- (٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج ٦ / ٣٧١، ورواه أبو داود في كتاب: الوتر، ٢٤، ورواه الترمذي في كتاب: الدعوات، ٧١ / ١٢٠، وإسناده حسن.
- (٤) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج ١ / ٢٥٨ - ٣٥٣، و ج ٦ / ٣٢٥ - ٤٣٠، ورواه مسلم في كتاب: الذكر، ٧٩.

البحث السابع:

## ترغيب الزوجة بقيام الليل

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رَجِمَ اللهُ رجلاً قامَ مِنَ اللَّيْلِ فصلّى، وأيقظَ امرأتهُ، فإنْ أبَتْ نَضَحَ في وَجْهِهَا الماءَ، وَرَجِمَ اللهُ امرأةً قامتْ مِنَ اللَّيْلِ فصلّتْ، وأيقظتْ زوجها، فإنْ أبى نضحتْ في وَجْهِهِ الماءَ»<sup>(١)</sup>.

وروى الطبراني في الكبير، عن أبي مالك الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجلٍ يستيقظُ فَيُوقِظُ امرأتهُ، فإنْ غَلَبَهَا التَّوْمُ نَضَحَ في وَجْهِهَا الماءَ، فيقومان في بيتهما فيذكران الله ﷻ ساعةً من اللَّيْلِ، إلاً غفراً لهما»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي هريرة وأبي سعيد، قالوا: قال رسول الله ﷺ: «إذا أيقظَ الرَّجُلُ أهلهُ مِنَ اللَّيْلِ فصلّيًا، أو صلّيًا ركعتين جميعاً، كُتِبَا في الذَّاكِرِينَ اللهُ والذَّاكِرَاتِ»<sup>(٣)</sup>.

البحث الثامن:

## رضا المرأة المسلمة بحكم الله تعالى وبحكم رسوله ﷺ

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه النسائي في كتاب: قيام الليل ٥، وهو حديث صحيح.

(٢) ذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد، ج ٢ / ٢٦٣.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج ٣ / ٧٥، ورواه مسلم في كتاب: الذكر ٤.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ قال القرطبي: لفظ ما كان وما ينبغي ونحوهما معناه: الحظر والمنع من الشيء، والإخبار بأنه لا يحل شرعاً أن يكون، وقد يكون بما يمنع عقلاً، كقوله: ﴿مَا كُنَّا لَنَكْذُرَ أَنْ نَمُنِّيَا شَجَرَهَا﴾<sup>(١)</sup>. ومعنى الآية: أنه لا يحل لمن يؤمن بالله ورسوله إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يختار من أمر نفسه ما شاء، بل يجب عليه أن يُدعن للقضاء، ويُوقف نفسه تحت ما قضى الله ورسوله عليه واختاره له، ويجعل رأيه تبعاً لرأيه. وجمع الضمير في قوله: «الهم» و«أمرهم» لأن مؤمناً ومؤمنة وقعاً في سياق التقي، فهما يعلمان كل مؤمن ومؤمنة.

﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في أمر من الأمور وشيء من الأشياء، ومن ذلك عدم الرضا بما قضى الله به في كتابه، أو رسوله ﷺ في سنته ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ ظاهراً واضحاً لا يخفى، فإن كان العصيان عصيان رد وامتناع عن القبول كحالة بعض أهل الرأي وأصحاب الفروع، فهو ضلال كفر، وإن كان عصيان فعل مع قبول الأمر واعتقاد الوجوب كحالة بعض أهل التوحيد، فهو ضلال خطأ وفسق.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب على فتاة زيد بن حارثة، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية فخطبها، قالت: لست بناكحته. قال: «بلى فانكحيه». قالت: يا رسول الله، أوامر نفسي، فينما هما يتحدثان إذ أنزل الله هذه الآية على رسوله ﷺ. قالت: قد رضيت لي ناكحاً. قال: «نعم». قالت: إذا لا أعصي رسول الله ﷺ قد أنكحت نفسي<sup>(٢)</sup>.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ لزينب: «إني أريد أن أزوجهك زيد بن حارثة فإني قد رضيتُ لك» قالت: يا رسول الله، لكني لا أرضاه لنفسي، وأنا أيتم قومي وبنْتُ عمَّتِكَ، فلم أكن لأفعل، فنزلت هذه الآية ﴿وَمَا كُنَّا لِمُؤْمِنٍ﴾ - يعني: زيداً - ﴿وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ - يعني: زينب - ﴿إِنَّا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾ - يعني:

(٢) تفسير الإمام الطبري، ج ٩ / ٢٢.

(١) سورة النمل: الآية: ٦٠.

النكاح في هذا الموضع - «أَنْ يَكُونَ لَكُمْ الْخَيْرُ مِنْ أَمْرِهِمْ» خلاف ما أمر الله به .  
قالت: قَدْ أَطَعْتُكَ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ، فزَوَّجَهَا زَيْدًا، ودخلَ عليها<sup>(١)</sup>.

وعن ابن زيد قال: نزلت في أم كلثوم بن عتبة ابن أبي مُعيط، وكانت أولَ امرأةٍ هاجرت فوهبت نفسها للنبي ﷺ، فزَوَّجَهَا زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، فسخطت هي وأخوها وقالوا: إِنَّمَا أَرَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فزَوَّجَهَا عَبْدَهُ. وكان تزوج زيد بزینب قبل الهجرة بنحو ثمان سنين، وبعدما طلق زيد زینب، زوجه ﷺ أم كلثوم، وكان زوجه قبلها أم أيمن، وولدت به أسامة، وكانت ولادته بعد البعثة بثلاث سنين، وقيل: بخمس. وفي شرح المواهب: أن أم أيمن هي بركة الحبشية بنت ثعلبة، أعتقها عبدُ الله أبو النبي ﷺ، وقيل: بل أعتقها هو ﷺ. وقيل: كانت لأمه ﷺ أسلمت قديماً، وهاجرت الهجرتين، وماتت بعده ﷺ بخمسة أشهر، وقيل: ستة.

قال أهل العلم: دلَّت الآية على لزوم اتِّباع قضاء الكتاب والسنة، وذمَّ التقليد والرأي وعدم خيرة الأمر في مقابلة النص من الله ورسوله ﷺ، وإن كان السبب خاصاً فإن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.



## البحث التاسع:

### أحكام نذر المرأة المسلمة للعبادات

#### نذر المرأة أن تحج:

عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: نَذَرْتُ أُخْتِي أَنْ تَمْشِيَ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ حَافِيَةً، فَأَمَرْتَنِي أَنْ أَسْتَفْتِيَ لَهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَفْتَيْتُهُ، فَقَالَ: «الشمس ولتركب»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه ابن مردويه.

(٢) رواه البخاري في كتاب: الصيد ٢٧، ورواه مسلم في كتاب: النور ١١.

وزاد في رواية الترمذي: حافية غير مختمرة فقال: «مروها فَلَئِنَّ حَتْمِرَ وَلِتَرْكَبَ وَلِتَضُمَّ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ»<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عباس: أَنَّ أخت عقبة نذرت الحج ماشيةً، وذكر عقبة لرسول الله ﷺ أنها لا تطيق ذلك فقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ مَشْيِ أَخِيكَ، فَلِتَرْكَبْ وَلِتَهْدِ بَدَنَةً»<sup>(٢)</sup>. وفي رواية: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْنَعُ بِمَشْيِ أَخِيكَ إِلَى الْبَيْتِ شَيْئاً»<sup>(٣)</sup>.

### نذر المرأة أن تضرب بالذف:

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَضْرِبَ عَلَى رَأْسِيكَ بِالذَّفِّ قَالَ: «أَوْفِي بِنَذْرِكَ»<sup>(٤)</sup>.

وزاد رزين: قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي نَذَرْتُ إِذَا انصرفت من غزوتك سالماً غانماً أَنْ أَضْرِبَ عَلَيْكَ بِالذَّفِّ قَالَ: «إِنْ كُنْتَ نَذَرْتَ فَأَوْفِي بِنَذْرِكَ وَإِلَّا فَلَا» وهو صحيح.

### نذر المرأة الصلاة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ امْرَأَةً اشْتَكَتْ، فَقَالَتْ: إِنَّ شَفَانِي اللَّهُ تَعَالَى لِأَخْرَجَنِّي وَأَصْلِيَنِّي فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ. فَبَرَأَتْ فَتَجَهَّزَتْ لِلْمَخْرُوجِ، فَجَاءَتْ مَيْمُونَةَ تُسَلِّمُ عَلَيْهَا، فَأَخْبَرَتْهَا بِذَلِكَ، فَقَالَتْ لَهَا: اجْلِسِي فَكَلِّبِي مَا صَنَعْتِ، وَصَلِّي فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «صَلَاةٌ فِيهِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِي مَا سِوَاهُ مِنَ الْمَسَاجِدِ، إِلَّا مَسْجِدَ الْكَعْبَةِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه الترمذي في كتاب: النذور ١٠.

(٢) رواه الترمذي في كتاب: النذور ١٠.

(٣) رواه أبو داود في كتاب: الإيمان ١٩.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج ٥ / ٣٥٣، وإسناده صحيح، ورواه أبو داود في كتاب:

الإيمان ٢٢، ورواه الترمذي في كتاب: المناقب ١٧، وحثه.

(٥) رواه مسلم في كتاب: الحج ٥٠٥ - ٥١٠.

وحاصل هذه الأبواب: أنّ النذر إنّما يصح إذا ابتغى به وجهُ الله، فلا بدّ أن يكون قربةً، ولا نذرَ في معصيةِ الله، ومن النذر في المعصية ما فيه مخالفة للتسوية بين الأولاد، أو مفاضلة بين الورثة، مخالفة لما شرعه الله تعالى، ومنه النذر على القبور، وعلى ما لم يأذن به الله. ومن أوجبَ على نفسه فعلاً لم يشرعهُ الله لم يجبَ عليه، وكذلك النذر إن كان ممّا شرعهُ الله وهو لا يُطيقه، ومن نذر نذراً لم يسمه أو كان معصيةً أو لا يُطيقه، فعليه كفارةٌ، ومن نذرَ بقربةٍ وهو مشرك ثم أسلم لزِمَهُ الوفاء، ولا ينفذ النذر إلا من الثُّلث، وإذا مات الناذِرُ لقرِبه، ففعلها عنه ولدُه أجزاءُ ذلك، وفي الباب أحاديث تدلّ على ما قلنا. والله تبارك وتعالى أعلم.

